الخرطوم بعيون فتيّة: رؤية مستقبلية بديلة لمدينة الخرطوم الكبرى

د. إبراهيم زكريا بحر الدين
أستاذ مساعد، كلية العمارة - جامعة الخرطوم السودان
ibrahimza@uofk.edu

د. جمال محمود حامد
أستاذ مشارك، كلية العمارة - جامعة الخرطوم السودان
gmhamid@uofk.edu

الملخص

تهدف هذه الدراسة الي عرض أسلوب تخطيطي تشاركي تمّ من خلاله تكوين رؤية تخطيطية بديلة لمدينة الخرطوم الكبرى. هذه الرؤية ترسم المسار المرجو لمستقبل مدينة الخرطوم كما تتخيله فئة الشباب حتى العام ٢٠٣٣م. ويؤمل من هذه الرؤية أن تحافظ على موروثات المدينة الطبيعية، وتطِّور صورتها الحضرية والحضارية، إضافةً لاقتراح وسائل لحماية محتواها البيئي المتفرد. وهذه القضية الأخيرة لم تنل حظها في أغلب الخطط العمرانية السابقة لمدينة الخرطوم.

اعتمدت الدراسة على المفهوم التشاركي في البحث العلمي. وتمّ ذلك من خلال سلسلة من ورش العمل التشاركية والتي هدفت إلى التيسير لفئةٍ من الشباب بغرض تحديد رؤية بديلة لمدينة الخرطوم، واضعين في الاعتبار الأبعاد البيئية والتشاركية في تكوين تلك الرؤية. الفئة المستهدفة من خلال هذه الورش هم فئة الشباب والتي تمّثل السكان المستقبليون لمدينة الخرطوم.

أبرزت الدراسة العديد من التحديات البيئية الملحة التي تواجه مدينة الخرطوم الكبرى، كما أوضحت الكيفية التي ينظر بها هؤلاء الشباب لمستقبل الخرطوم في العام ٢٠٣٣م. اخُتتمت الدراسة بتوصيات وتوجهات تهدف إلى رسم خارطة طريق لتحقيق الرؤى التي تمّ تحديدها من خلال ورش العمل لضمان استدامتها وكيفية تنفيذها.

الكلمات المفتاحية
الخرطوم الكبرى، التخطيط العمراني، الشباب، المشاركة المجتمعية، التخطيط البيئي التشاركي

١ مقدمة

لا شك أن الناظر المتمعِّن إلى المدن السودانية المعاصرة لا يمكن أن تخطئ عيناه التغيرات البيئية، الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة التي حدثت فيها خلال العقود الثلاثة الأخيرة من الزمان، والتي أثّرت بشكلٍ قويٍ ومباشرٍ علي جودة المكان الحضري، وعلى مستويات المعيشة فيها. ولا نستثنى العاصمة الوطنية، مدينة الخرطوم الكبرى، من ذلك. وقد أدّى التحضر المتنامي والسريع في مدينة الخرطوم الكبرى، مصحوباً بعدم كفاءة وكفاية الخدمات المحلية مثل الصرف الصحي، وإدارة التلوث والتخلص من النفايات، إلى تدهورٍ كبيرٍ في البيئة ظهرت آثاره في تلوث المياه السطحية، وتركز النفايات غير المتحللة في المساحات المفتوحة، وما إلى ذلك (Ahmad, 2007)(Eltayeb, 2002) (Hamid and Bahreldin, 2013a, 2013b).
في ظل وضعٍ كهذا، يبقي التخطيط البيئي من الضرورة بمكان. وتبرز المشاركة المجتمعية كعنصرٍ محركٍ لهكذا تخطيط، خاصةً وأن التَجارب العالمية أوضحت قدرتها على حل مثل هذه التحديات.

٢ التطور العمراني في الخرطوم الكبرى

بدأ الاستيطان المنظّم في مدينة الخرطوم في فترة الدولة العثمانية (١٨٢٠ – ١٨٨٥م)، والتي كانت تسمى أيضاً الحكم التركي المصري، حيث تمّ اختيارها عاصمةً للدولة بدلاً عن مدينة سنّار، عاصمة الدولة السنّارية، التي كانت تكثر فيها الأوبئة (أبوسليم، ١٩٧٩:٤٣). وعُرفت منطقة ملتقى النيلين الأزرق والأبيض آنذاك بكونها ملتقى تجاري مهم ترتاده القوافل التجارية التي كانت تسير على (درب الأربعين) البرّي من أواسط وغرب أفريقيا شمالاً حتى مصر؛ كما كانت ملتقى ومرفأً للمراكب التجارية التي تنقل البضائع من جنوب السودان وأواسط أفريقيا إلى شماله ومن ثمّ إلى مصر.

وقد قُسمّت مدينة الخرطوم الناشئة جنوب النيل الأزرق إلى ثلاث مناطق رئيسة على أساس طبقي إجتماعي:(١) حيّ الحمكدارية، ويضم مقر الحكم ومكاتب ومنازل موظفي الدولة الأجانب؛ (٢) حيّ المسجد، ويضم المسجد الكبير والسوق العربي والسوق الأفرنجي ومساكن التجار والموظفين السودانيين؛ (٣) أحياء طرفية تضم العمال والحرفيين السودانيين (أبوسليم، ١٩٧٩:٦١) (D'Errico, 2015: 21).

وخلال فترة الدولة المهدية (١٨٨٥ – ١٨٩٨م) إزدهرت مدينة أمدرمان، والتي يفصلها عن الخرطوم نهر النيل، والتي اتخذتها الدولة المهدية عاصمةً لها، وتضاعف عدد سكانها عدة مرات حتى بلغ ١٥٠ ألفاً عام ١٨٨٦م بسبب هجرة القبائل التي وفدت إليها لمبايعة المهدي ومناصرته. ولم تستعد الخرطوم أهميتها إلاّ بعد اندحار الدولة المهدية وقيام دولة السيادة المشتركة (Condominium) الانجليزية – المصرية (١٨٩٨ – ١٩٥٥م). فقد أُعيد تخطيطها وإعمارها كمدينة حديثة على نهج المدن الأوربية ذات الشوارع المتعامدة الواسعة، وممرات المشاة المشجّرة، والمنازل الكبيرة ذات الحدائق الغنّاء؛

وقُسّمت المدينة إلى خمسة نطاقات (zones) تبعاً لوظيفة كل حيّز. وقد تنبّأ حاكم السودان آنذاك الميجور استانتون في محاضرةٍ ألقاها بلندن عام ١٩١٠م بأن الخرطوم ستبلغ يوماً ما شأواً بعيداً وستصبح أكبر المدن الأفريقية (McLean, 1980:138). كما تمّ إنشاء لجنة تخطيط الخرطوم عام ١٩٢٧م لتشرف على التنمية الحضرية في الخرطوم، وإصدار قانون تسجيل والتصرُّف في الأراضي عام ١٩٢٥م والذي منح الدولة سيادةً على جميع الأراضي غير المسجلة في السودان.

وقد تمّ خلال تلك الفترة أيضاً إعمار مدينة الخرطوم بحري، بعد ربطها مع مدينة الخرطوم بواسطة جسر تمّ إنشاؤه عام ١٩١٠م. وضمّت الخرطوم بحري مرافق حكومية مهمة مثل النقل النهري ومصلحة المخازن والمهمات، إلى جانب بعض الوحدات العسكرية والصناعات الخفيفة. أمّا مدينة أمدرمان فلم تجد حظها من الإعمار نظراً لارتباطها بالحكم الوطني، وتقلّص عدد سكانها بعد سقوط الدولة المهدية وعودة الكثير من أنصارها إلى مناطقهم الأصلية؛ ولكن تمّ ربطها مع مدينة الخرطوم عن طريق جسر حديدي تم تشييده عام ١٩١٨م.

وبنهاية الحكم الاستعماري في ديسمبر ١٩٥٦م، وبداية فترة الحكم الوطني، بلغ عدد سكان المدن الثلاث، والتي تُعرف مجتمعةً بالعاصمة المثلّثة أو الخرطوم الكبرى (الشكل رقم ١)، ٢٦٠ ألفاً وذلك لأنها أصبحت جاذبةً للسودانيين بفضل فرص العمل التي أُنشئت فيها، واستمرت على ذات النمو السكاني المتسارع، حيث يتضاعف عدد سكانها كل عشر سنوات تقريباً، حتى بلغ عددهم ٤,٢ مليون نسمة وفق التعداد الرسمي الأخير عام ٢٠٠٨م، ويقدر عدد سكانها حالياً بستة ملايين نسمة. وما فتئت الخرطوم الكبرى تمثِّل الخيار الأول للسكن بالنسبة للسودانيين نظراً لخدماتها الجيدة نسبياً، واقتصادها المتنوّع، وأسواقها الكبيرة، وتوفُّر فرص العمل بها، ومستويات الحياة الجيدة فيها مقارنةً ببقية مدن وأرياف السودان. وأوضحت التعدادات السكانية الخمسة التي أجريت في السودان في أعوام ١٩٥٦م، ١٩٧٣م، ١٩٨٣م، ١٩٩٣م، ٢٠٠٨م أن هنالك هيمنةً حضريةً واضحةً لمدينة الخرطوم الكبرى إذ بلغت نسبة سكانها الي اجمالي سكان الحضر بالسودان حوالي ٤٣٪، كما بلغ عدد سكانها أكثر من تسعة أضعاف المدينة الثانية (نيالا)، وحوالي ثلاثة أضعاف مجموع سكان المدن الأربع التالية لها (نيالا، بورتسودان، الابيض وكسلا)، ويمثل ذلك اختلالاً واضحاً في توزيع السكان في السودان (وزارة البيئة والغابات والتنمية العمرانية، ٢٠١٦: ١١).

٣ التخطيط العمراني في الخرطوم الكبرى

شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، متبوعةً بالحكم الوطني في السودان (ما بعد عام ١٩٥٦م) إهتماماً بالتنمية العمرانية حيث تمّ إصدار قانون تخطيط المدن والقرى، وإنشاء لجنة مركزية لتخطيط المدن عام ١٩٤٦م؛ كما تمّ عام ١٩٥٨م التعاقد مع استشاري عالمي (دوكسيادس وشركاه) لإعداد مخطط عمراني شامل وطويل المدى للمدينة؛ وكانت تلك ثاني محاولات التخطيط العمراني الممنهج، وتلتها ثلاث محاولات أخرى حتى بلغت في جملتها خمس مخططات عمرانية يوضّح الجدول رقم (١) أهمّ عناصرها ونقاط الضعف والقوة فيها. كما يوضِّح الجدول أن الخرطوم كمدينة وكإقليم وكولاية قد نالت حظاً كبيراً من التخطيط العمراني طويل المدى المتمثِّل في خمس مخططات هيكلية وشاملة (structure and master plans). وأولت تلك المخططات – وخاصةً الأخير منها – إهتماماً كبيراً بترقية البيئة الطبيعية والعمرانية، إلا أنها لم تجد قدراً كبيراً من الالتزام السياسي وما يترتب عليه من ميزانيات واعتمادات مالية من أجل تنفيذ تلك المخططات، وبالتالي لم ينفذ منها إلاّ النذر اليسير.

شكل (١) موقع ولاية الخرطوم بالنسبة للسودان وموقع الخرطوم الكبرى داخل حدود الولاية

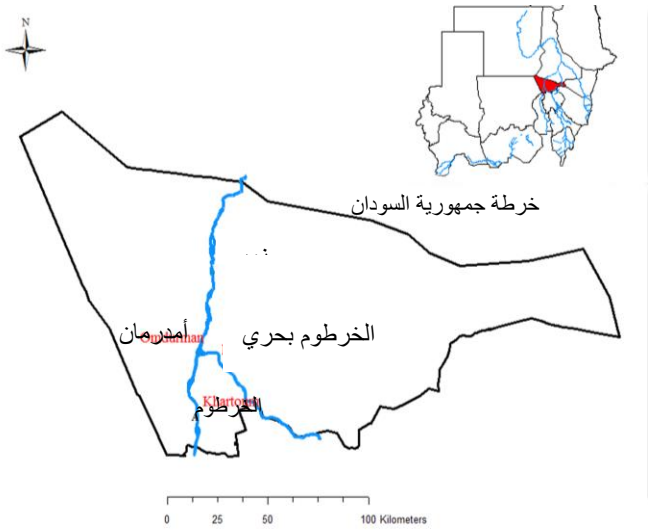

٤ المشاركة المجتمعية وأهميتها في التخطيط العمراني

مما لا شك فيه أن مفهوم المشاركة المجتمعية هو من المفاهيم التي تحتوي على العديد من التعريفات التي تغيرت وما زالت تتغير وفق المتطلبات الحضرية ونتاج الممارسات التخطيطية. وفي هذا الإطار ينظر الباحثان إلى مفهوم المشاركة المجتمعية على أنه ظاهرةً عامةً تشمل مشاركة أكبر عدد من افراد المجتمع في إدارة الموارد وتخطيطها، وتحديد الأهداف العمرانية، وبرامج التنمية المجتمعية من أجل تحسين الظروف العامة له. وعليه تدار الشؤون العامة للناس منهم وبهم علي أساس احترام الكرامة الإنسانية، والديمقراطية، والعدل الاجتماعي، والمساواة بين جميع المواطنين. ويقتضي هذا التعريف وجود آلية تواصل ذات اتجاهين بين المجتمع والادارات الحكومية تسمح بتبادل المعرفة والإدارة واتخاذ القرار بشكل حر وعادل.

ورغم التباين الواضح في تعريف مفهوم المشاركة المجتمعية، إلا أن هنالك اتفاقٌ كبيرٌ بين الأكاديميين في أهميتها وقدرتها على خلق التغيير الإيجابي المنشود. وقد ذكر بول دافيدوف في كتاباته "*...إن كان يؤمّل من التخطيط العمراني أن يشجع على دمقرطة الحكم الحضري، فمن المهم أن يعمل هذا التخطيط في بيئة تجمع ولا تقصي المواطنين من المشاركة*" (Davidoff, P, 1965) .وأكد جوهر (جوهر وجمعة، ٢٠١٠) على هذا المبدأ حيث ذكر أن المشاركة تزيد فعالية المؤسسات وتمكنها من تحقيق وظائفها.

جدول (١) مقارنة بين المخططات العمرانية للخرطوم الكبرى

الجهة المعدة للمخطط	المهندس ماكلين McLean	مكتب دوكسيادس Doxiades	شركة مفت Mefit	مكتب دوكسيادس ومكتب وعبد المنعم مصطفى Doxiades and A.M. Mustafa	شركة مفت وشركة وسنتاكس Mefit and CENTECS
المدى الزمني	١٩١٠ -	١٩٦٠- ١٩٨٠	١٩٧٥- ١٩٩٠	١٩٩٠-٢٠٠٠	٢٠٠٨-٢٠٣٣
الحيّز المكاني	حضري: مدينة الخرطوم فقط	حضري: المدن الثلاث	حضري وإقليمي: إقليم الخرطوم الكبرى	حضري: المدن الثلاث	حضري وإقليمي: ولاية الخرطوم
أهمّ العناصر الحضرية والنقاط الايجابية	- تصميم حضري متطور - شوارع عريضة منسقة	- حزام أخضر يحمي المدينة - إتجاه رئيس للنمو	- حزامين أخضرين - تشجيع التوسع الرأسي إقتراح مدن تابعة -مقترح لنقل المطار والجامعة	- مخطط هيكلي يهتم بالعناصر الرئيسة - شجّع إنشاء الأحزمة الخضراء - خطة لإدارة النفايات	-مخطط هيكلي وشامل - يحافظ على الأراضي الزراعية - يحافظ على العناصر الطبيعية -تطوير الواجهات النهرية.
أهمّ النقاط السلبية	- يركز على المنطقة المحصورة بين النيل والسكة حديد	- يشجع النمو الأفقي على حساب الأراضي الزراعية	-التوسع الحضري على حساب الأراضي الزراعية	- يشجع النمو الأفقي على حساب الأراضي الزراعية	-محاط بالكثير من الأشياء غير المؤكدة - وجود خطط ومشروعات خارج إطاره ومتناقضة معه
درجة التنفيذ	عالية ولكن في حيّز ضيّق	محدودة وعلى مدى زمني طويل	لا توجد إذ لم تتم إجازة المخطط رسمياً	محدودة	محدودة جداً
المشاركة الشعبية	- لا توجد - مخطط فوقي	- لا توجد - مخطط فوقي	- لا توجد - مخطط فوقي	- محدودة جداً - مخطط فوقي	- محدودة. - مخطط فوقي، مهني

وعلى الرغم من أن المشاركة المجتمعية في التخطيط البيئي تعتبر نوعاً ما جديدة علي ممارسي التخطيط العمراني (Lubell et al., 2002)، إلا أن مشاركة فئات متعددة من المجتمع في التخطيط تعتبر أمراً حيوياً ومهماً لتنفيذ مخرجات و حلول المشاكل البيئية (Selle, K., 1996). وعموماً، تبقي المشاركة المجتمعية في التخطيط العمراني مبررةً بقدرتها على تحقيق ما يلي:

- زيادة كفاءة آلية اتخاذ القرار وقدرتها علي زيادة القبول والشفافية للمخططات. ويؤدي الأخير بلا شك إلى زيادة كفاءة المخططات (Wondolleck and Yaffee, 2000) (Bahreldin and Ariga, 2011) (Innes and Booher, 2004)
- زيادة ورفع مستوي التحليل والتقييم للتحديات الحضرية، وذلك من خلال دمج المجتمع في التقييم وتحديد البدائل .(Coenen, F. 2009)

- تقلِّل المشاركة المجتمعية من مستوي الخلاف والصراع، وبالتالي تزيد من القدرة علي تنفيذ المشاريع (Innes and Booher, 2004) (Coenen, F. 2009) (الجوهري , ١٩٩٧)
- زيادة الوعي العام للمجتمع ومساندة الإنفاق الحكومي (الجوهري , ١٩٩٧) (Bamberger,1991)
- تقوية راس المال الاجتماعي و تعزيز التماسك المجتمعي (Innes, 1996)(Bamberger,1991).

العوامل سابقة الذكر، والتي تؤكد أن المشاركة المجتمعية هي أفضل الوسائل لحل المشاكل والتحديات البيئية، هي التي حددت مسار والوسيلة المستخدمة في هذه الدراسة.
من جهة اخري، يعتبر دمج وإشراك الشباب في عملية التخطيط العمراني والتيسير لهم لتحديد أوجه مستقبلهم من الاهمية بمكان. في السودان، وفي ظل غياب استراتيجية وطنية للشباب، ناهيك عن وسائل لتمكين لهذه الفئة، والتي تمثل نسبةً مقدرةً من المجتمع السوداني تظل محاولات إشراك ودمج الشباب في عملية التخطيط العمراني من الخطوات الاستراتيجية للوصول للدولة التي تضمن حقوق مواطنيها بلا استثناء. وتمثِّل الجملة الأخيرة أحد الدوافع الملحة التي دعت الي إجراء هذه الدراسة.

في هذا الإطار، يوضِّح الجدول رقم (١) بجلاء إن المشاركة الشعبية في صياغة وتطوير المخططات العمرانية التي حُظيت بها الخرطوم الكبرى – بما في ذلك المخطط العمراني الأخير – كانت محدودةً جداً ولم تتجاوز سلسلةً من اللقاءات الجماهيرية والندوات بغرض التنوير واستطلاع الرأي، وبالتالي لم يتولّد لدى سكان الخرطوم، بمختلف فئاتهم، إرتباطٌ قويٌ بالمخطط العمراني، أو إحساسٌ بملكيتهم له (ownership). ولا يجادل الباحثان بأن نقص المشاركة المجتمعية كانت السبب الأساس في فشل هذه المخططات، وانما يؤكدان على أن نقصها، بالإضافة لأسباب اخري عديدة، كان أحد عناصر الفشل.

٥ أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة الي طرح وتوثِّيق أسلوب تخطيطي تشاركي تمّ من خلاله تكوين رؤية تخطيطية بديلة لمدينة الخرطوم الكبرى من قبل مجموعة من سكانها الشباب. هذه الرؤية من المتوقع أن تحدد المسار المرجو لمستقبل مدينة الخرطوم كما تتخيله فئة الشباب حتى العام ٢٠٣٣م، وهو العام الذي ينتهي عنده المخطط الهيكلي الخامس والحالي للخرطوم. ويؤمّل من هذه الرؤية أن تحافظ على موروثات المدينة الطبيعية وتطوير صورتها الحضرية والحضارية، إضافةً لاقتراح وسائل لحماية محتواها البيئي المتفرد.
جديرٌ بالذكر أن الرؤية المقدمة من خلال هذه الدراسة لا تعني بأي شكل من الأشكال استبعاد المخطط الهيكلي الحالي أوتصنيفه بانه غير مناسب أو غير ناجح. وأنّما هي رؤية بديلة مستمدّة من إيجابيات المفهوم التشاركي الذي لم يأخذ حظه الكافي في المخطط الحالي (Hamid and Bahreldin, 2013b)، خاصةً ما يتعلق بمشاركة فئة الشباب.

٦ وسائل البحث

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التشاركي في البحث العلمي. تمّ ذلك من خلال سلسلةٍ من ورش العمل التشاركية، والتي هدفت في الأساس إلى تحديد رؤيةٍ بديلةٍ لمدينة الخرطوم واضعين في الاعتبار الأبعاد البيئية في تكوين تلك الرؤية.
وإيماناً منّا بأهمية المشاركة المجتمعية في التخطيط العمراني، فإن الأسلوب المتبع في هذه الدراسة يعتمد علي تيسير وسيلة لتكوين رؤيةٍ بديلةٍ لمدينة الخرطوم في المستقبل بواسطة عينة من سكانها المستقبليين (الشباب). وعطفاً على أن القضايا البيئية من الأفضل أن تتمّ معالجتها ودراستها في إطار تشاركي، كما أكّد على ذلك المبدأ العاشر من مخرجات مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية (مؤتمّر قمة الأرض) الذي أقيم في ريو دي جانيرو عام1992 م. وبفهم أن دور المخطِّط في التخطيط البيئي التشاركي يجب أن يكون في إطار التيسير للمواطنين لتكوين رؤاهم المستقبلية (Lai and Chen, 2006) فقد آثر الباحثان اتباع الأسلوب التشاركي للتيسير للفئة المستهدفة لتكوين رؤاها المستقبلية لمدينة الخرطوم، والتي قد تكون مغايرةً لرؤى الكبار والمختصّين والمهنيين الذين يقومون عادةً بإعداد المخططات العمرانية للمدن، واتخاذ القرارات المستقبلية المتعلقة بها دون شوري أو مشاركة فعلية كما ظهر في الجدول رقم (1).
الأساس المنطقي الذي انبنى عليه اختيار ورش العمل التشاركية كوسيلة لإجراء هذه الدراسة أستند على ما ذكره ميواس وتانينباوم (Muise and Tanenbaum, 2008) بأنها تساعد على استكشاف الأفكار التصميمية بوسيلةٍ مزدوجةٍ تشمل الإطار التحليلي والمنتج. أضف إلى ذلك إن ورش العمل تساعد على التركيز على قضية تصميمية محددة في إطار المنظومة الأكبر (نفس المرجع). وفي هذه الحالة تمّثل مشكلة النمو الحضري المتسارع بولاية الخرطوم المنظومة الأكبر التي عناها ميواس وتانينباوم.
تمّ تصميم جميع ورش العمل المصاحبة لهذه الدراسة لتتيح التعامل الديناميكي والتفاعلي بين كل المشاركين. كما تمّ تصميم طريقة طرح أسئلة كل ورشة عمل لتناسب نوعية المشاركين، أعمارهم، مستواهم التعليمي ونوعية الأسئلة التي يتوجب الإجابة عليها. المشاركون في هذه الورش شملوا عينةً من طلاب المدارس الثانوية، طلاب الجامعات، والخريجين الجدد من الجنسين. وتمّ من خلال ورش العمل تلك إعطاء الفرصة لعينةٍ من كل مجموعة من المشاركين لعرض أفكارها ورؤيتها للخرطوم في العام ٢٠٣٣م، إما كتابةً أو شفاهةً أو بواسطة الرسم التوضيحي.

٦/١ أهداف ورش العمل

هدفت ورش العمل الثلاث، والتي كانت جزءاً أصيلاً من هذه الدراسة، إلى تطوير أفكار ورؤى لمستقبل الخرطوم الكبرى الحضري في العام ٢٠٣٣م. عليه من الضروري بمكان توضيح أن الغرض من ورش العمل هذه ليس إثبات نظريات أو فرضيات بقدر تركيزها على التيسير لفئة الشباب المستهدفة لتكوين رؤية واضحة، واقعية ومدروسة لمستقبل مدينتهم. عليه تبقي طبيعة ورش العمل الثلاث استكشافية وليست تحليلية. وتتمثّل أهمّ أهدافها فيما يلي:

١. تحديد التحديات البيئية الأساسية التي تواجه مدينة الخرطوم كما يراها سكانها المستقبليون (فئة الشباب).
٢. تحديد أولويات التعامل مع التحديات البيئية سابقة الذكر حسب درجة أهميتها وتأثيرها على البيئة الحضرية.
٣. رسم وصياغة رؤية بيئية تشاركية بديلة لمدينة الخرطوم في العام ٢٠٣٣م.
٤. تحديد وتعريف استراتيجيات ووسائل تقود وتساعد على تحقيق الرؤى التي تمّ تصورها سابقاً.

وعلى الرغم من أن هذه الورقة ستناقش كل الأهداف آنفة الذكر، إلا أن التركيز فيها سيكون على الهدفين الثالث والرابع، واللذان يركزان على تطوير الرؤية البيئية البديلة لمدينة الخرطوم، إضافةً إلى تحديد الاستراتيجيات والوسائل التي تؤدي إلى تحقيق هذه الرؤية.

٦/٢ تحديد العينة المستهدفة واختيارها

حتى نتمّكن من الفهم المنطقي للتحديات العمرانية التي تواجه مدينة الخرطوم، وفهم الكيفية التي ينظر بها سكانها المستقبليون إليها، كان من المهم النظر بتمّعن لهيكل مدينة الخرطوم والتحدث إلى سكانها. عليه، حاول الباحثان الوصول إلى رؤية للخرطوم ٢٠٣٣م كما يراها سكانها المستقبليون. السكان الفاعلون لمدينة الخرطوم في العام ٢٠٣٠م هم بالتأكيد فئة الشباب، وعليه تم تحديدهم من قبل الباحثان بالفئة العمرية ١٥ – ٢٤ عاماً. هذه الفئة تشكّل نسبةً مقدرةً من سكان مدينة الخرطوم حيث تمثل حسب آخر إحصاء سكاني رسمي في العام ٢٠٠٨ حوالي ٢١٪ من سكان المدينة.

بناءً على ذلك، تمّ تحديد العينة المختارة للبحث، أو العينة الجزئية (فئة الطلاب في المدارس والجامعات الحكومية) من مجتمع البحث الكلي (فئة الشباب) عن طريق العينة الغرضية Purposive Sample والتي تمكن من اختيار عينةٍ ذات صفات محددة في مفردات العينة العامة. هذه الصفات هي:

- العينة المختارة هي من فئة الشباب والتي من المتوقع ان تقود العمل التخطيطي في العام ٢٠٣٠م بحكم ارتباطها بالنظام التعليمي.
- العينة المختارة ممثلةً جغرافياً لكل ولاية الخرطوم حيث تم اختيار المدارس المشاركة في العينة الجزئية جغرافياً لتمثل محليات ولاية الخرطوم السبع.

وشملت العينة المختارة ما يلي:

١. طلاب الجامعات: ويشمل ذلك طلاب السنوات الأخيرة والخريجين الجدد من مدارس العمارة، التخطيط العمراني والبيئة. وقد تمّ اختيار طلاب الأقسام المعنية بقضايا البيئة والعمران والذين يؤمّل (بحكم الاختصاص) أن يقوموا بقيادة التخطيط العمراني في المستقبل القريب. تمّ اختيار كل الجامعات الحكومية بولاية الخرطوم (وعددها ستة) لتكون موضوع الدراسة، ومُثلت هذه الجامعات بعدد ٢٧ طالب وطالبة من الجنسين.
٢. طلاب المدارس الثانوية: تمّ اختيار عدد ٦ مدارس حكومية أنموذجية، وذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم بولاية الخرطوم. كما تمّ إضافةٌ لذلك اختيار مدرستين من كل محافظة من محافظات الخرطوم السبع مع التركيز على اختيار المدارس الطرفية حتى يتسنى تمثيل شباب ذوي خلفيات اجتماعية وطبقية متباينة في هذه العينة. وبلغ العدد الكلي لطلاب المدارس الثانوية من الجنسين ٦٣ طالباً وطالبة.

٦/٣ مسار ورش العمل

تمّ تنظيم ورش العمل الثلاث المذكورة في الجدول رقم (٢) بحيث تحتوي كل واحدة على خمس مراحل تفاصيلها كالآتي:

١. المرحلة الأولى هي مرحله التوجيه (orientation) والتي تمّ من خلالها تعريف كل المشاركين بأغراض وأهداف الورشة، أضافةً لشرح الهيكل التنظيمي والإطاري لسير عملها والمخرجات المتوقعة منها.
٢. المرحلة الثانية هي مرحلة تهيئة المشاركين للورشة (ice-breaking) وذلك من خلال التعارف المتبادل. بنهاية هذه المرحلة تمّ تقسيم المشاركين إلى مجموعات عمل تتكون كلٌ منها من ٥-٧ مشاركين من الجنسين.
٣. المرحلة الثالثة هي مرحلة الاستكشاف (exploration) والتي يقوم من خلالها المشاركون بتحديد التحديات الحضرية والبيئية الكبرى التي تواجه مدينة الخرطوم.

٤. المرحلة الرابعة والأهمّ هي مرحلة تطوير وتكوين الرؤية البيئية الملائمة لمدينة الخرطوم في العام ٢٠٣٣م من وجهة نظر الشباب المشاركين في ورش العمل.
٥. المرحلة الخامسة وتشمل مرحلة التعلُّم التشاركي (collective learning) والتي من خلالها تقوم كل مجموعة بعرض مخرجاتها لكل المشاركين في الورشة. وتحتوي هذه المرحلة على مجموعات تناقش بعمق وتمحيص مخرجات كل المجموعات.

صورة (١) صور مختارة لبعض نشاطات ورش العمل الثلاث (المصدر: الباحثان، ٢٠١٣)

طلاب المدارس الثانوية خلال ورشة العمل الثانية

خريجو الجامعات وطلاب السنة النهائية في الجامعات المختارة خلال ورشة العمل الأولى

طالبات المدارس الثانوية خلال ورشة العمل الثالثة

جدول (٢) الهيكل التنظيمي لورش العمل الثلاث

رقم الورشة	المكان	الفئة المستهدفة	عدد المشاركين	زمن الورشة الكلي
الورشة الأولى	كلية العمارة – جامعة الخرطوم	طلاب السنوات النهائية وخريجي الجامعات الحكومية في مجال العمارة والعمران والبيئة	٢٧	٤,٥ ساعة
الورشة الثانية	مدرسة الشيخ مصطفي الأمين النموذجية بنين	طلاب الثانويات ممثلين للمحليات السبعة التي تشكل ولاية الخرطوم	٣٤	٣ ساعات
الورشة الثالثة	مدرسة الشيخ مصطفي الأمين النموذجية بنات	طالبات الثانويات ممثلين للمحليات السبعة التي تشكل ولاية الخرطوم	٢٩	٣ ساعات

٧ مخرجات ورش العمل

إن أحد أهم مخرجات ورش العمل المذكورة هو الفهم العميق لقضايا البيئة الطبيعية، الاجتماعية والاقتصادية وسط الفئة المستهدفة – فئة الشباب. وضح ذلك جلياً في النقاش من خلال التحديد الدقيق لأهمّ التحديات والفرص البيئية التي تواجه الخرطوم الكبرى. ويمكن تبرير ذلك باحتواء المناهج الدراسية بالمدارس الثانوية والجامعات السودانية على مكونات بيئية كبيرة. ومع ذلك، يمكن تنظيم وترتيب مخرجات ورش العمل الثلاث بنفس ترتيب أهدافها كالآتي:

٧/١ التحديات البيئية الحالية والمُلحّة التي تواجه الخرطوم

تعددت التحديات البيئية التي تواجه مدينة الخرطوم كما حددها المشاركون في الورشة، ولكن عموماً يمكن حصرها في التحديات المرتبطة بالكوارث الطبيعية مثل الجفاف والتصحُّر والفيضانات، وصولاً إلى التحديات المرتبطة بالاستخدام غير المستدام للأرض والذي يؤدي أيضا إلى التصحُّر، نحر التربة وتقليل الغطاء النباتي، إضافةً إلى الفقر الحضري والنمو السكاني المتسارع والذي لا يتماشى مع الخدمات المتوفرة والتي تفتقر إلى الكفاءة. بعض المجموعات (خاصةً طلاب المدارس الثانوية) أشاروا إلى مشاكل التلوث البيئي بالتركيز علي جودة الهواء ومياه الشرب.
الضغط المتسارع على الأرض الحضرية متلازماً مع النمو السكاني المتسارع كان حاضراً في مداولات المشاركين. ويُعتقد بانه تسبّب في تقليل كفاءة وكفاية الخدمات والبنى التحتية والاجتماعية في المناطق الحضرية. وباختصار، فقد تمكّن المشاركون في الورشة من تحديد إحدى عشر تحدياً بيئياً يواجه الخرطوم الكبرى. تمّ ترتيبها تصاعدياً حسب درجة أهميتها كما يلي (الشكل رقم ٢):
(١) تزايد إنبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون الضار؛ (٢) تزايد موجات الجفاف والتصحر؛

(٣) ضعف المخططات العمرانية وعدم تلبيتها لمتطلبات السكان؛ (٤) الزيادة الكبيرة في أعداد سكان المدينة؛ (٥) النوعية الرديئة لمياه الشرب؛ (٦) عدم توفر وسائل النقل المستدام؛
(٧) ضعف الوعي العام بقضايا البيئة؛ (٨) عدم كفاية الغطاء النباتي في الطرق والساحات العامة؛ (٩) عدم كفاءة إدارة النفايات؛ (١٠) عدم وجود شبكة صرف صحي تغطي جميع أرجاء المدينة؛ (١١) تلوُّث الهواء والبيئة عموماً.

شكل (١) التحديات البيئية الملحّة التي تواجه العاصمة الخرطوم كما تمّ ذكرها وترتيبها بواسطة المشاركون في ورش العمل الثلاث

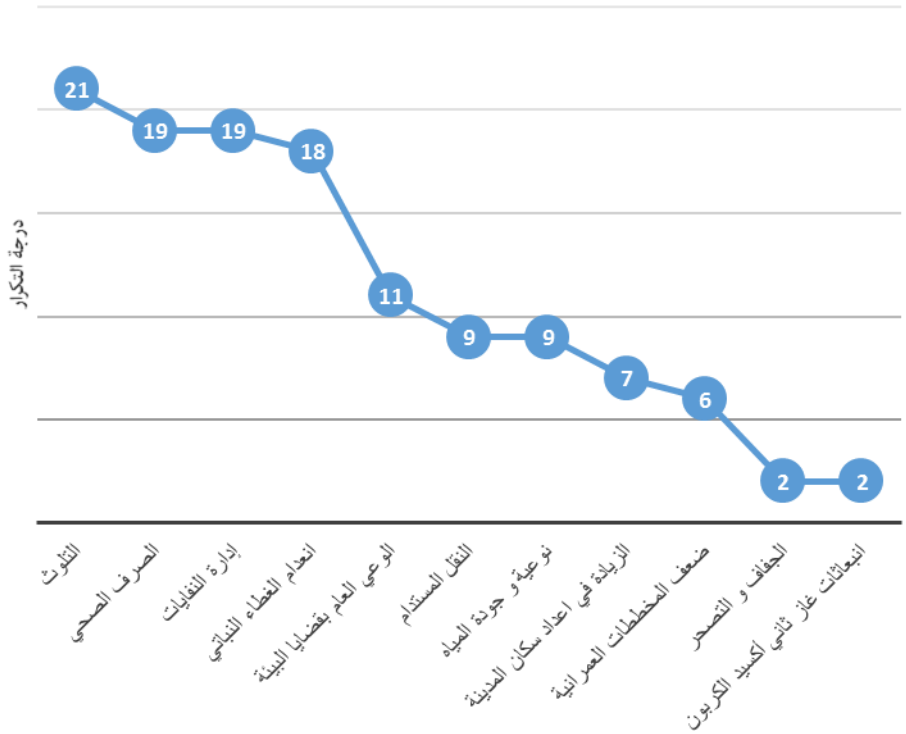

أهم التحديات المنظورة ودرجة تكرارها كما حددها المشاركون بورش العمل

٧/٢ الرؤية البيئية البديلة للخرطوم في العام ٢٠٣٣م

الرؤية كما عرّفها توماس وجريف (Thomas, Means and Grieve, 1988) هي صناعة موجهات ووسائل للأعمال العامة (public actions) وذلك بغرض تحديد مسار تطوير المجتمع في المستقبل. عليه تمثِّل الرؤية نافذةً لمشاهدة مستقبل أفضل ومثالي. بناءً على ذلك المفهوم قام المشاركون في ورش العمل المختلفة برسم عدة سيناريوهات للخرطوم كما يتمنونها في العام ٢٠٣٣م. أهمّ هذه الرؤى تخيلت مدينة الخرطوم كالآتي:
(١) مدينة خضراء؛ (٢) مدينة ذات وسائل نقل مستدامة ومتعددة؛ (٣) مدينة تشجع على السير والتجوال؛ (٤) مدينة تحتوي على مباني ذكية ونشاط سياحي مستدام مبني على التعدد الثقافي للمدينة؛ (٥) مدينة تعكس هويتها الحضرية. ويوضح الشكل رقم (٢) القائمة الكاملة للرؤى التي تمّت صياغتها من خلال ورش العمل الثلاث مرتبةً تنازلياً حسب درجة أهميتها.

٨ تحليل الرؤى التي تمّ تشكيلها من خلال ورش العمل

رسمت الرؤى التي تمّ تخيلها بواسطة سكان الخرطوم المستقبليون الخطوط العريضة لتوقعات جيل الشباب للخرطوم في العام ٢٠٣٣م. ويمكن ترتيب الرؤى التي تمّ التوصل إليها في الشكل رقم ٢ إلى خمس محاور أساسية كالآتي (الشكل رقم ٣):

شكل (٢) عرض للرؤى التي بلورها المشاركون في ورشة العمل ومدى تكرارها في ورش العمل

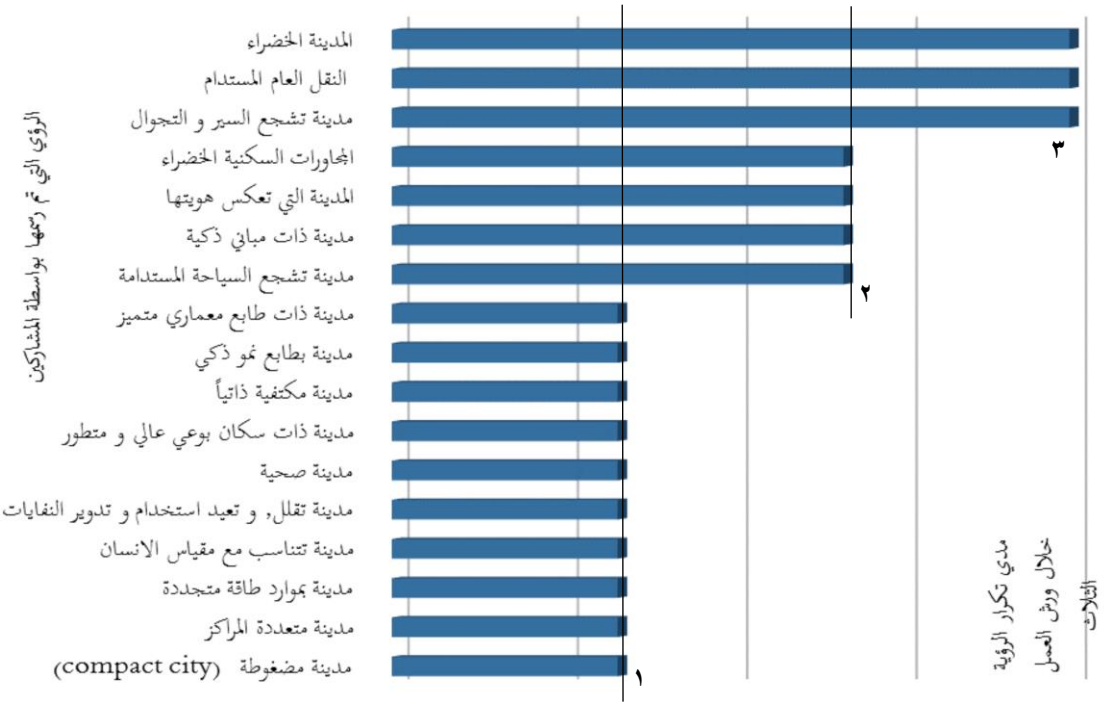

١. **المحور الأول:** ويشمل الرؤى المرتبطة بالهيئة الحضرية (urban form) والنقل. ويحتوي هذا المحور على تأطير النقل الحضري المستدام، والسعي لتبني المدينة التي تشجع على السير والتجوال، المدينة متعددة المراكز، المدينة المدمجة (compact city) والمدينة ذات النمو الذكي (smart growth).
٢. **المحور الثاني:** ويشمل الرؤى التي تتعلق بالبيئة الطبيعية. يحتوي هذا المحور على رؤى مثل الخرطوم كمثال للمدينة الخضراء، المجاورة السكنية الخضراء، المدينة التي تقلِّل وتعيد استخدام وتدوير نفاياتها، وأخيراً المدينة التي تشجع على السياحة المستدامة (sustainable tourism).
٣. **المحور الثالث:** ويشمل الرؤى المرتبطة بتشييد المباني والطابع المعماري. يحتوي هذا المحور على رؤى مثل رؤية الخرطوم كمدينة تعكس بفخر هويتها، وكمدينةٍ نابضةٍ بالحياة (vibrant city) وذات طابع معماري متميّز يعكس هويتها، إضافةً لكونها مدينة تحتوي على مباني ذكية.
٤. **المحور الرابع:** يتضمن الرؤى التي تتعلق بالصحة العامة والرفاهية. ويشمل ذلك الرؤى التي تتحدث عن مدينة الخرطوم كمدينةٍ مكتفيةٍ ذاتياً من الغذاء. كما يتطرق هذا المحور لمدينة الخرطوم كمدينةٍ نابضةٍ بالحياة، ومدينة ذات سكان على مستوى وعي عالي ومتقدم.
٥. **المحور الخامس**: يشمل الرؤى التي تتعلق بالحفاظ على الموارد. ويحتوي هذا المحور على الرؤى التي تتعلق برؤية الخرطوم كمدينة تستخدم موارد طاقة متجددة (renewable energy sources).

الجزء التالي من هذه الدراسة يشتمل على شرح تفصيلي لمحتويات المحاور الخمس سابقة الذكر.

٨/١ الرؤى المرتبطة بالهيئة الحضرية والنقل

بلا شك إن الهيئة الحضرية والنقل من أهمّ العناصر التي تؤثر على التنمية المستدامة للمدن، خاصةً إذا أخذنا في الاعتبار التأثيرات البيئية المرتبطة بهما. وفقاً لهذا الإطار، ومن خلال الحوار في ورش العمل تمّ تحديد قضيتين أساسيتين:
(١) تشمل القضية الأولى نمط تطوير الأرض الحضرية، وقد ركزت رؤى المشاركين على أهمية خلق نمط عمراني مضغوط (compact) بدلاً عن النسق الممتد أفقياً والمترامي الأطراف (sprawl) السائد حالياً في الخرطوم، مع تشجيع الترابط الحضري لاستخدامات الأرض المتداخلة، والتي تؤدي بدورها لتشجيع السير والتجوال والتواصل من خلال أنواع متعددة ومستدامة من وسائل النقل (الشكل رقم ٣ والشكل رقم ٥).
نادى المشاركون أيضاً بتشجيع المباني والمجاورة السكنية الخضراء واستخدام نمط بنائي يشجع على الاستخدام الكفء للطاقة، وأيضاً استخدام وسائل النقل العام المستدام مثل القاطرات الكهربائية، وقاطرات الترام، وغيرها. وفيما يختص باستخدام الأرض، وعلى الرغم من أن المشاركين أكدوا على أهمية رفع الكثافة الحالية في الأحياء السكنية بما يشجع على الاستخدامات المتنوعة للأرض، إلا أنهم أوضحوا أهمية إدارة استخدامات الأرض وذلك لتفادي الاستخدامات غير المتوافقة (incompatible land uses) (الشكل رقم ٤). هذه الرؤية تختلف إختلافاً كبيراً عن النمط الحالي السائد لتخطيط

المجاورات السكنية بمدينة الخرطوم والذي يتسِّم بقلة كثافته السكانية والبنائية، إضافةً إلى نمط الاستخدام الأحادي للأرض (single land use).

(٢) تشمل القضية الثانية النقل الحضري المستدام، وتؤطر لرؤية مدينة الخرطوم كمدينة تشجع على السير والتجوال. وأكَّد المشاركون على أهمية استخدام نظام كفء وجذاب للنقل العام والانتقال بحيث يشمل نظام الانتقال (transit system) مختلف وسائل النقل الحضري (السير، الدراجات الهوائية، الحافلات، وسائل النقل النهري وغيرها) (الشكل رقم ٤).

٨/٢ الرؤى التي تتعلق بالبيئة الطبيعية

تعتبر الخرطوم من المدن المحظوظة وذلك لوقوعها عند ملتقي النيلين الأزرق والأبيض وتكوينهما لنهر النيل العظيم. هذا الموقع المتفرد أو العبقري كما سماه نوربيرج شولتز(Norberg-Schulz,1980) جعل الخرطوم مدينةً تعيش على المياه. كما تتمّيز مدينة الخرطوم باحتوائها على غابة متفردة وجميلة لأشجار السنط (acacia trees) والتي تشغل مساحةً أكبر بقليل من إثنين كيلو متر مربع داخل الإطار الحضري للمدينة. وواضعين ذلك في الاعتبار، أكّد المشاركون في الورشة على إن استخدام الأرض في الخرطوم في العام ٢٠٣٣م يجب أن يضع في الاعتبار حماية هذا الموروث الطبيعي والأيكولوجي. أمّا في إطار التنمية الحضرية، فقد شجع المشاركون على أهمية الاهتمام بتنسيق الأرض الحضري (urban landscape) على مستوي الحي السكني، وذلك باستخدام الزراعة الحضرية (urban agriculture)، وتنسيق الأرض الصالح للأكل (edible landscapes) باستخدام نباتات وأشجار مثمرة مثل النخيل والمانجو والبرتقال، كبديلٍ للأشجار غير المثمرة المستخدمة حالياً. وهذان الاقتراحان من الأهمية بمكان خاصةً بعد تقرير منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة والذي يشير إلى أن ولاية الخرطوم تعتبر من الولايات المحرومة غذائياً بنسبة ٢٩%(FAO, 2010) .

جديرٌ بالذكر أنه من الأهداف التي ذكرها الشباب أيضاً قضايا الحفاظ على المياه وتدويرها. قضايا الأمن المائي، واخيراً وليس آخراً تقليل وإدارة التلوث بكافة أنواعه حتى تتحسن جودة الهواء، التربة، المياه وبالتالي الصورة الحضرية والذهنية للمدينة.

شكل (٣) رؤية من مخرجات ورشة العمل الأولى تتخيل الخرطوم كمدينة مترابطة من ناحية النقل وذات مراكز متنوعة ومتعددة.

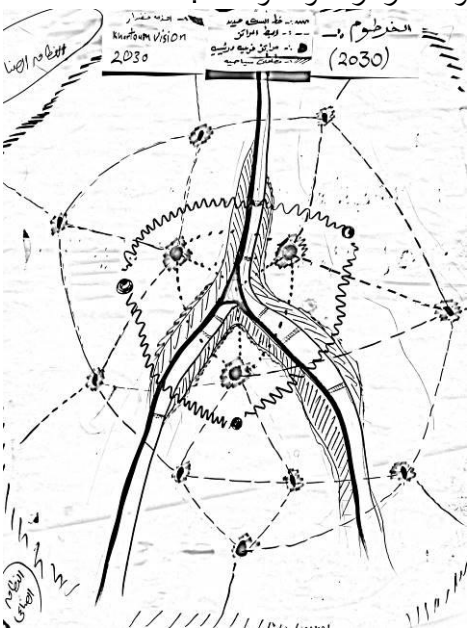

(المصدر: ورشة العمل الأولى، ٢٠١٣)

شكل (٤) رؤية من مخرجات ورشة العمل الأولى تتخيل الخرطوم كمدينة تشجع السير والتجوال وكمدينة متعددة المراكز.

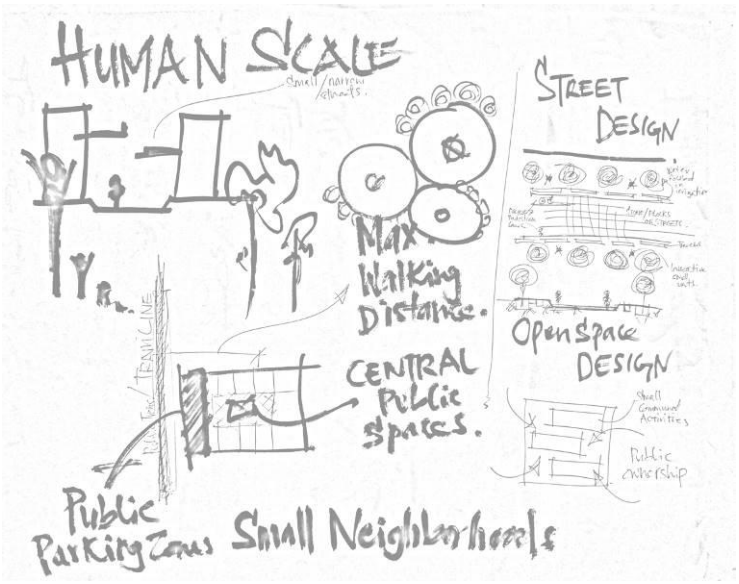

(المصدر: ورشة العمل الأولى، ٢٠١٣)

شكل (٥) رؤية من مخرجات ورشة العمل الثانية تتخيل الخرطوم كمدينة تشجع على السير والتجوال وتعتمد على التنسيق الحدائقي الصالح للأكل

(المصدر: ورشة العمل الثانية، ٢٠١٣)

٨/٣ الرؤى المرتبطة بتشييد المباني والطابع المعماري

العديد من الأهداف المعمارية والعمرانية تمّ إدراجها تحت هذا المحور. تحديداً تمّ التركيز على أهمية تصميم مباني جديدة تزيد من كفاءة استخدام المياه والطاقة. هذه الرؤية نادت أيضاً بخلق هوية معمارية وعمرانية تزيد من القيمة الوظيفية، الاقتصادية والثقافية للمباني. الطابع المعماري (architectural style) أيضاً نال نصيبه من خلال هذه الرؤية والتي نادت بأن تعكس المباني الهوية السودانية وثقافتها المحلية بعيداً عن النسخ الأعمى والغير مدروس لتجارب الغير. وفي هذا الإطار شدّد المشاركون على أهمية أن تتسع المدينة لكل المواطنين وذلك باتباع أسلوب التصميم العالمي (universal design)، والذي يضمن أن تتمتّع كل الفئات العمرية من الجنسين وأصحاب الاحتياجات الخاصة بنفس الحقوق والوصول لجميع الخدمات بعدالة.

٨/٤ الرؤى التي تتعلق بالصحة العامة والرفاهية

الخرطوم النابضة بالحياة والتي تحتوي على العديد من النشاطات الثقافية والرياضية كانت إحدى أحلام المشاركين. وتضمّن هذا المحور أيضاً رؤية الخرطوم كمدينة جاذبة للسياح من داخل وخارج البلاد. جديرٌ بالذكر أن هذا المحور شدّد على ضمان وجود البنى التحتية والوسائل التي تساند المواطنين للبقاء أصحاء ومعافين بدنياً، نفسياً وروحياً. كما تخيّل المشاركون أن تكون الخرطوم هي الملاذ الحقيقي لكل سكانها الذي يشعرهم بدفء الانتماء إليها، مع ضمان توفير فرص وأماكن للعمل، التسوُّق، الترفيه والسكن.

هذا المحور تخيل الخرطوم أيضاً كمدينة آمنة ومأمونة من خلالها تتوفر الفرصة لكافة الثقافات السودانية لتتواصل وتتزاوج، كما ارتبطت هذه الرؤية برؤية العاصمة كمدينة يسكنها سكان بمستوي وعي وإدراك عالي يساعد على تحقيق هذا التزاوج الثقافي.

٨/٥ الرؤى المتعلقة بالحفاظ على الموارد

في هذا المحور تمّ التأكيد على تشجيع استخدام موارد متجددة للطاقة والحفاظ على الاستخدام المستدام للمياه. كما تخيلت رؤية الخرطوم في العام ٢٠٣٣م الخرطوم كمدينة تقل مخرجاتها من النفايات الصلبة عمّا هي عليه الآن، وكمدينة تعيد استخدام وتدوير تلك النفايات. عليه تشجع هذه الرؤية على خلق فرص عمل جديدة، وجذب استثمارات مستدامة للبيئة الحضرية. تقليل انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون في البيئة الحضرية كان حاضراً بقوة خلال تداول المشاركين لهذا المحور.

شكل (٦) إحدى مخرجات ورشة العمل الأولى وفيها رؤية تتصور الخرطوم كمدينة يبدأ التطور بها من حيث انتهي الآخرون، وتحتوي على بنية تحتية بتصميمٍ جيدٍ، وكمدينة تعكس الهوية السودانية، وكمدينة تقلل وتعيد استخدام وتدوير نفاياتها، كما هي مدينة ذات بيئة ثقافية اجتماعية وصحية وخدمية متطورة ومكتفية ذاتياً.

(المصدر: ورشة العمل الأولى، ٢٠١٣)

عموماً، يبدو من خلال سرد وتنسيق مخرجات ورش العمل أعلاه أن مخرجاتها متسقة ومتشابهة، إلا أن الواقع يشير الي غير ذلك. على سبيل المثال كان من الواضح اهتمام فئة طلاب المدارس الثانوية (من الجنسين) بقضايا الصحة العامة كالنفايات، والمياه النظيفة وسلامة الغذاء والتشجير والتخضير. وفي الجانب الآخر، أهتم طلاب الجامعات والخريجين بقضايا أكثر تعقيداً ارتبطت في مجملها بتخطيط المدينة واستدامتها. وشمل ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قضايا الهوية والمكان الحضري والنقل والمواصلات وإدارة الموارد، مع تطرقهم بصورةٍ أقل لقضايا الصحة العامة. ويزعم الباحثان أنّ هذا الاختلاف في الاهتمام مرده الي اختلاف القضايا المدروسة في المناهج الدراسية لكل فئة من فئات الدراسة.

٩ وسائل تحقيق رؤية الشباب للخرطوم في العام ٢٠٣٣م

تمثِّل المحاور الخمس التي تمّ نقاشها آنفاً رؤية جيل الشباب للخرطوم في العام ٢٠٣٣م. هذه الرؤى التي تم طرحها نجحت في تحديد مسار واضح ومترابط لما يتوقعه الشباب في العام ٢٠٣٣م. ويجب أن ندرك أن تحقيق الرؤى التي تمّ اقتراحها من خلال ورش العمل يحتاج لعملٍ دؤوبٍ وشاقٍ لتفصيلها وتحويلها لبرامج عمل. عليه هنالك العديد من السياسات والموجهات التي اقترحها الشباب المشاركون كجزء من ورش العمل التشاركية لتسهم في ترجمة هذه الرؤى لتكون واقعاً معاشاً. هذه الوسائل هي:

١. المشاركة المجتمعية في التخطيط العمراني والتي من خلالها تكتسب القرارات الدعم الشعبي والشفافية. وتؤدي المشاركة أيضاً إلى زيادة الوعي العام والتعلُّم لكل المشاركين.
٢. رفع الوعي العام من خلال التدريب المتواصل، التعليم والمشاركة المجتمعية. هذه الوسيلة تكون أكثر كفاءةً إذا تمّ ربطها بالمشاركة المجتمعية. الجدير بالذكر أن المشاركين حددوا أن رفع الوعي لا يقتصر على عامة المواطنين

فقط، بل يجب أن يتخطاهم ليشمل التكنوقراط ومتخذي القرار، والذين يفتقر الكثيرون منهم لفهم أهمية المشاركة المجتمعية في جعل التخطيط العمراني أكثر ديموقراطية ومسؤولية[١].

٣. زيادة المساحات الخضراء في المدينة من خلال الزراعة الحضرية، الأحزمة الشجرية واستخدام تنسيق الأرض المنتج والصالح للأكل في الإطار الحضري، وذلك بتشجيع زراعة الأشجار المثمرة كالمانجو والجوافة والنخيل، الخ . الاقتراح الأخير يصب في خانة قضايا الامن الغذائي والتي أصبحت من أهم التحديات التي تواجه المدن السودانية حديثاً.

عموماً، يمكن تصنيف وسائل تحقيق الرؤية أعلاه بأنها عامة وضعيفة، خاصةً وأنها بشكلها الذي قُدمت به تفتقر الي المنهجية والقراءة الواضحة للهيكل الإداري للدولة، وإن دلّ ذلك على شيئ فإنه يدُّل على ضعف قدرات هذه الفئة في التفكير الاستراتيجي، والذي يقتضي استخدام نوعٍ أعمقٍ من التفكير والمعرفة بالتكوين الإداري والسياسي للدولة.

١٠ الخاتمة والتوصيات

بشكلٍ عامٍ، تضمنت الرؤى التي تمّ الوصول إليها بواسطة المشاركين الأبعاد الخمس للتنمية المستدامة (five dimensions of sustainability) كما حددها ألين (Allen, 2002) [٢]. كما التزمت أيضا بمخرجات المحور الخامس من الأهداف الإنمائية للألفية (Millennium Development Goals) وهو محور الأهداف البيئية، كما حددتها منظمة الأمم المتحدة. وتناسقت هذه الرؤية بشكل كبير مع عدد من محاور أهداف التنمية المستدامة (Sustainable Development Goals) للعام 2030م، خاصةً محور الصحة الجيدة والرفاه ومحور المدن والمجتمعات المحلية المستدامة. ويدل ذلك بشكلٍ كبيرٍ وواضحٍ على قدرة التخطيط التشاركي على خلق مخرجات معقدة ومتماسكة وتشرح بشكلٍ واضحٍ وسلسٍ أهداف المجتمع.

الحلم بتحقيق مدينة صديقة للبيئة كما تمّت بلورته بواسطة الشباب لا يبدو صعب المنال، ولكن تحقيقه يتطلب فهماً عميقاً للتحديات المعاصرة التي تواجه مدينة الخرطوم. أحد أهمّ الخواتيم التي تمّ الوصول إليها بواسطة المشاركين تتعلق بالحاجة إلى مشاركة مجتمّعية فاعلة وأصيلة ومصحوبة برفع الوعي العام للمواطنين ومتخذي القرار على السواء. إضافةً إلى ذلك، شدّد المشاركون على أهمية توفُّر الإرادة السياسية الحقيقية، إذا أردنا ضمان تنفيذ وتحقيق هذه الرؤى.

ومن المهم أن نذكر هنا أن الإطار التقييمي والاستكشافي الذي تمّ تطبيقه من خلال ورش العمل المذكورة، وعلى الرغم من قدرته الكافية على تخيُّل وعرض مشاكل مختارة في إطار العاصمة الخرطوم، إلّا انه من المبكر أن نصفه بأنه *شامل*، وعليه يجب التعامل مع الرؤى التي تمّ تحديدها في سياق هذه الدراسة بروية وتدرُّج. ويعتبر الباحثان أن هذه الرؤى يمكن أن توضِّح الاتجاه العام لفئة الشباب المستهدفين في هذه الدراسة، ولكن لا يمكنها أن تشكِّل لوحدها الأساس لرؤية تخطيطية شاملة ومفصلة. السبب في ذلك يعود لمحدودية العينة المختارة وتمثيلها لرؤية فئةٍ محددةٍ من الشباب دون بقية أطياف المجتمع، الشيء الذي انعكس في ارتباط مخرجات الدراسة بأولويات الفئة مثار الدراسة. مثال لذلك، إن قضايا مهمة وحيوية مثل قضية المأوي وأليات الحصول عليه لم يتمّ التطرق لها في سياق ورش العمل هذه.

عموماً ونسبة للارتباط الواضح بين مخرجات ورش العمل والمناهج الدراسية التي يدرسها الطلاب، يوصي الباحثان بتوسيع نطاق هكذا دراسات لتشمل ليس فقط الفئة المتعلمة من الشباب، بل تلك التي منعتها ظروفها الاقتصادية والاجتماعية من تلقي تعليم نظامي، وبالتالي توسيع نطاق الرؤية لتشمل كآفة اطياف الشباب. كما يوصي الباحثان بأعداد استراتيجية تنمية واضحة تضمن اشراك الشباب في تحديد أوجه مستقبلهم، خاصةً وأن هذه الدراسة اثبتت قدرتهم على رسم الخطوط العريضة لذلك المستقبل. واخيراً وليس آخراً، يوصي الباحثان بأهمية استخدام المشاركة المجتمعية كأحد وسائل التعلُّم، خاصة وأن قوة مخرجات الرؤية المكونة بواسطة الشباب هُزمت بضعف وسائل تحقيق الرؤية التي اقترحتها نفس الفئة. عليه من المهم أن يشارك عددٌ مقدرٌ من متخذي القرار في جلسات تخطيط تشاركي مع الشباب بغرض نقل الخبرات وتوسيع نطاق التعلُّم التشاركي في مجال التخطيط العمراني.

ختاماً، حاولت هذه الدراسة رسم وتوثيق رؤية بيئية للخرطوم في العام ٢٠٣٣م بأفضل الوسائل المتاحة، وعلى الرغم من أن هذه الرؤية لا تعتبر شاملةً من حيث إطار تكوينها، وتركيبة المشاركين في صياغتها، والزمن القصير الذي تمّ خلاله تكوين هذه الرؤية، ولكنها توضِّح بشكلٍ جليٍّ آمال وتطلعات عينةٍ مهمةٍ من سكان الخرطوم المستقبليين لمدينتهم في العام ٢٠٣٣م، وإذا تمّ استصحاب مثل رؤى الشباب التي طرحت خلال هذه الدراسة في التخطيط المستقبلي للخرطوم الكبرى، إضافةً إلى رؤى قطاعات أخرى من المجتمع مثل النساء والأطفال والشيوخ والفقراء وغيرهم، فإن المخططات الناتجة ستكون أكثر واقعيةً وإنسانيةً، وستكون فرصتها في التطبيق والنجاح أكبر من ما سبقها من المخططات.

[١] من المحزن ان العديد من المخططين ومتخذي القرار في السودان لا يؤمنون بقدرة المشاركة المجتمعية علي حل المشاكل الحضرية.
[٢] حدد ألين الأبعاد الخمس للتنمية المستدامة بالبعد الاقتصادي، البعد الاجتماعي، البعد الأيكولوجي، البعد الفيزيائي والبعد الحضري.

المراجع العربية

أبو سليم، محمد إبراهيم. (١٩٧٩). تاريخ الخرطوم. بيروت، لبنان: دار الجيل.
Abu-Salim, M. I. (1979). History of Khartoum. Beirut, Lebanon: Dar-Aljil.

الجوهري، عبد الهادي. (١٩٩٧). تنمية المشاركة الشعبية. مؤتمر الخدمة الاجتماعية والتحديات البيئة، يوليو ١٩٩٧. القاهرة، مصر.
Al-Gohary, A. (1997). Encouraging Public Participation. Social Services and Environmental Challenges Conference. Cairo, Egypt.

جوهر، علي صالح، وجمعة، محمد حسن. (٢٠١٠). الشراكة المجتمعية واصلاح التعليم "قراءة في الأدوار التربوية لمؤسسات المجتمع المدني". المنصورة، مصر: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
Saleh, J. A., and others. (2010). Community Partnership and Education Reform. Mansoura, Egypt: El-Asreya For Publishing & Distribution.

وزارة البيئة والغابات والتنمية العمرانية، والمجلس القومي للتنمية العمرانية، وبرنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية. (٢٠١٦). تقرير السودان. مؤتمر الأمم المتحدة الثالث حول الإسكان والتنمية الحضرية المستدامة (الموئل III)، ١٧-٢٠ أكتوبر ٢٠١٦. كيتو، اإلكوادور: الموئل.
Ministry of Environment, Forests and Urban Development. The National Council for Urban Development and the UN-Habitat. (2016). Sudan Report. Habitat III, the United Nations Conference on Housing and Sustainable Urban Development, 17-20 October. Quito, Ecuador: .UN-Habitat

المراجع الإنجليزية

Ahmad, A. M. (2007). “Khartoum 2030: Towards the Healthy City.” *Environmental Health Risk,* IV (I), pp. 249–57.

Allen, A. (2002) “Urban Sustainability Under Threat: The Restructuring of the Fishing Industry in Mar Del Plate, Argentina.” In Westerndorff, D. and Eade, D. eds. *Development and Cities.* Geneva and Oxford: UNRISD and Oxfam. pp. 12–42.

Bahreldin, I. Z. and Ariga, T. (2011) .“Evaluation of Two Types of Community Participation in Development Projects: A Case Study of the Sudanese Neighborhood of Al-shigla.” *Journal of Architecture and Planning Architecture Institute of Japan (AIJ),* 76(670), pp. 2369–79.

Bamberger, M.). (1991). The Importance of Community Participation. Public Administration and Development, 11(3), pp.281–284..

Coenen, F. H. J. (Ed.) (2009). Conclusions In *Public Participation and Better Environmental Decisions The Promise and Limits of Participatory Processes for the Quality of Environmentally Related Decision-making*. Springer. pp. 183–209.

Davidoff, P. (1965). Advocacy and Pluralism in Planning. Journal of the American Institute of Planners, 31(4). 331–338.

Eltayeb, G. (2002).“*The Challenge of the Slums: Global Report on Human Settlements 2003: The Case of Khartoum, Sudan*”. Khartoum: UNCHS.

FAO, (2010) Government of National Unity, Government of South Sudan and European Union. *Food and Nutrition Security Assessment in Sudan; Analysis of 2009 National Baseline Household Survey*. Khartoum.

Hamid, G. M., and Bahreldin, I. Z. (2013a) "Environmental Sustainability in Greater Khartoum between Natural Assets and Human Interventions." *International Journal of Sustainable Building Technology and Urban Development* 4(2), pp.100–110.

Hamid, G. M. and Bahreldin, I. Z. (2013b). *Khartoum 2030: An Alternative, Environmentally-Sensitive Vision for the Development of Greater Khartoum.* Khartoum: Sudanese Environmental Conservation Society. Unpublished report.

Innes, J. (1996). *Planning Through Consensus Building: A New View of the Comprehensive Planning Ideal*. Journal of the American Planning Association. 62(4), 460–472.

Innes, J. and David B. (2004). "Reframing Public Participation: Strategies for the 21st Century." *Planning Theory and Practice* 5(4). pp.419–36.

Lai, L. and Chin-tzu C. (2006) "*Strategic Management of Participatory Planning Concepts and Cases*." *In ISUP*, Taipe, Taiwan., pp.609–620.

Lubell, M. Schneider, M. Scholz, J.T. and Mete, M. (2002). "Watershed Partnership and the Emergence of the Collective Actiob Institutions." *American Journal of political science* 46(1). pp.148–63.

McLean, W.H. (1980). "The planning of Khartoum and Omdurman in the Earliest Period of British Rule". In Urbanization and Urban Life in the Sudan. Pons, V. (Ed). Department of Sociology, University of Hull.

d'Errico, M. (2015). *The Tropical Utopia Khartoum: British Colony 1898-1910.* Terra Ferma Edizioni.

Muise, K .and Tanenbaum, K. (2013). "*A Report on Participatory Workshops for the Design of Adaptive Collaborative Learning*." http://thegeekmovement.com/ktanenbaum/wp-content/uploads/2009/04/muise_etal_2008_a_report_on_participatory_workshops_ah.pdf .

Norberg-Schulz, C. (1980). *Genius Loci, Towards a Phenomenology of Architecture*. New York: Rizzoli.

Selle, K.(1996). "Klarungsbedarf. Sechs Fragen Zur Kommunikation Im Planungsprozess – Insbesondere Zur Beteiligung von Burgerinnen Und Burgern." In *Planung und Kommunikation* , ed. K. Selle. Wiesbanden: Bauverlag, 161–80.

Thomas, R. L., Means, M. C. and Grieve, M.A. (1988). *Taking Charge: How Communities Are Planning their Futures*. Washington, DC: International City County Management Association.

Wondolleck, J. M., and Yaffee, S. L. (2000) . *Making Collaboration Work: Lessons from Innovation in Natural Resource Management*. Island Press.

شكر وتقدير

يشكر المؤلفان الجمعية السودانية لحماية البيئة لتمويلها هذه الدراسة. والشكر أيضاً لوزارة التعليم العام بولاية الخرطوم لتيسير ورش العمل مع طلاب وطالبات المدارس الثانوية. كما نشمل بالشكر كل المشاركين من الجامعات الحكومية والذين لولاهم لكان من العسير إنجاز هذا العمل. وأخيراً، الشكر لكل من المهندسين أبوعبيدة السيد، أحمد الفاضل، آية عطاء المنان، وتسنيم عصام لمشاركتهم الفاعلة في تيسير وتنسيق ورش العمل الثلاث.

Khartoum in the eyes of the youth, an alternative vision for the city of Khartoum

Abstract

The objective of this study is to present and document a process through which an alternative, participatory vision for Greater Khartoum has been generated and formulated. Such vision could chart a distinctive path for Khartoum's future development as perceived by its future citizens – the youth – by the year 2033. This vision aims to preserve Khartoum's natural heritage, to improve its urban image and to suggest strategies to protect its unique environmental context. The latter issues have barely been tackled and incorporated in Khartoum's previous urban development plans.

The materials presented in this article were generated through a series of participatory workshops that facilitated the formulation of an alternative vision by a sample of young people and future residents of Greater Khartoum. The study identified trends of how future generations envision Khartoum in 2033.

The study identified several challenges that face Greater Khartoum, along with how the youth perceive its future in 2033. The study concludes by providing directives and recommendations that could pave the way to the realization of that vision, as well as to ensure the sustainability of suggested urban changes and transformations.

Keywords:

Greater Khartoum; urban planning; youth; community participation; participatory environmental planning